كان التفاؤل الذي يواجه به رشيد كرامي اشتداد النقمة الشعبية عليه باعثا للحيرة لدى بعض المتصلين به·ولكن هذا التفاؤل كانت له مبرراته التي لا تخفى على الذين يعرفون الدور الذي يقوم به كرامي في خدمة النظام ·

كيف وحّدت حكومة كرامي صفوف قوى النظام ؟

فكرامي يعتبر اشتداد السخط عليه ، والتحرك الجماهيري الواسع في طرابلس وفي غير طرابلس ، يعتبر هذا « تزكية » له لدى قوى النظام القائم ، تدفع بها الى التمسك به والحفاظ عليه وتذليل كافة العقبات التي تقف في وجهه · فاكثر ما تسمح به هذه القوى ان ينهار كرامي لانه كان واجهة البطش بالعمل الفدائي والوطني · وهكذا ، في الوقت الذي كانت فيه الحملات الشعبية تشتد عليه ، كان كرامي يقترب في الواقع اكثر فاكثر من حل ازمته على صعيد الحكم · وفي الوقت الذي كانت فيه ابواب طرابلس موصدة في وجهه،كانت قوى النظام بدءا بالنهجيين مرورا بالكتائبيين والاحرار وانتهاء « بحلفاء » هذا النظام الدوليين المتمثلين بشكل خاص بسفير اميركا دوايت بورتر، يفتحون لكرامي ابواب العودة الى السراي ·

وهكذا استطاع كرامي ان يؤلف « الستة عشرية » بعد مخاض عسير دام سبعة اشهر تقريبا · فما هو معنى هذا الحدث ؟ وكيف يؤثر على القضية الرئيسية التي تناضل من اجلها الجماهير في لبنان، اي قضية حماية العمل الفدائي ؟

مع اشتداد الحملات الشعبية عليه كان كرامي يقترب اكثر فاكثر من حل أزمته على صعيد الحكم

ان رفع «المحرم» عن الوطنيين الاحرار، اضافة الى ادخال الكتائب وممثلي الوسط والنهج في الحكومة يعني ان النظام يسعى سعيا حثيثا الى توحيد قواه ولم اشتاته، لكي يكون اقدر على مواجهة الخطر الذي يتهدده كل يوم ، والمتمثل بنمو قدرات تحالف الفدائيين والوطنيين في لبنان ·فمن خلال تجربة تشرين الاول تاكد للنظام القائم انه لا يجوز مواجهة هذا « العدو» بقوى غير منسقة تنسيقا كاملاً ، وانه لا يجوز ان يترك لقوى المقاومة الفلسطينية ان تفيد من الصراع داخل اجنحة النظام القائم · وبالتالي فان ادخال كافة اجنحة النظام في الحكومة الكرامية امر ضروري لكي يواجه المعضلات الكبرى التي تهدد بانهياره ·

ان هذا الفهم لتشكيل الحكومة الكرامية يكاد يكون صحيحا كلية لولا بعض الاستثناءات التي تشير الى ثغرات فيه· الاستثناء الاول هو ريمون اده وكتلته



« الوطنية » الذي اصر على البقاء خارج الحكومة وعلى معارضة اتفاق القاهرة جهارا · والحقيقة ان اده لا يشكل استثناء بالمعنى الحقيقي ، بل انه على العكس يؤكد ان التركيبات السياسية التي يعدها النظام انما تهدف الى خلق الواجهات التي تخدم مخطط ضرب العمل الفدائي ان لم يكن اليوم فغدا · ان ابقاء اده في الخارج يسمح له ان يقوم ، نيابة عن النظام القائم كله ، بقيادة الحملة المسمومة ضد العمل الفدائي · وما لا يستطيع ان يقوله النهجيون او الاحرار او الكتائبيون لانهم في الحكم ، يستطيع ان يقوله اده بحرية لانه في المعارضة · فدور اده هو ان يخلق الاجواء الملائمة لقوى النظام « المسؤولة» لكي تقوم بشن المعارك ضد العمل الفدائي· وهكذا يكون توزيع الادوار على اكمل وجه · اده يهاجم العمل الوطني والفدائي لحساب الحكم القائم ! والحكم القائم يقمع العمل الوطني والفدائي لحساب اده ! ويكون على الجماهير ان تقبل بهذا الامر لئلا يتفوق الجناح «المتطرف» في النظام على الجناح «المعتدل» ، فتتهدد « الوحدة الوطنية » وتنفرط المسبحة !؟

الاستثناء الاخر هو الاستاذ جنبلاط · فلقد كان الاستاذ جنبلاط متشددا «متصلبا في شروطه» الخمسة حتى رماه كرامي « بالتصعيد والتعجيز » · الكل يريدون الوزارة بدون شروط ، الا هو فانه يريد شروطه قبل الوزارة · بل انه كان يريد تعهدا خطيا من كرامي بقبول هذه الشروط·تعهد يخلو من ·· «ولعمري» ·· « وانما» و «توضيح الصورة» · ولكن كرامي لم يقبل ان يكتب التعهد لاسباب عديدة ياتي من بينها ان احدا لم يخوله في اي وقت من الاوقات ان يحكم · فكيف يقبل شروطا يعلم تمام العلم انه غير قادر على تنفيذها· بل كيف يتعهد بتنفيذ شروط يعلم ان تنفيذها يخلخل بعض المرتكزات التي يقوم عليها النظام في لبنان، تلك المرتكزات التي تعب ارباب النظام في بنائها زمنا طويلا ؟!·

لكي يحل هذه المشكلة لجا كرامي الى وضع الاستاذ جنبلاط امام الامر الواقع· اسند اليه وزارة الداخلية ، والى احد اعضاء حزبه ، الاستاذ الخطيب ، وزارة الموارد المائية والكهربائية · وقد يقبل الاستاذ جنبلاط « الامر الواقع » ايمانا منه ، بان ثقله داخل الحكومة وخارجها كفيل بتعطيل المخططات المشبوهة ، او على الاقل بتعطيل جزء منها · كذلك قد يقبل الامر الواقع اعتقادا منه ان بحماسه وحيويته ، قادر على وضع شروطه الخمسة موضع التنفيذ في احدى اكثر الوزارات دقة وحساسية ، اي وزارة الداخلية · ولكن للاستاذ جنبلاط مع الدولة تجارب كثيرة · ياتي اليها حاملا معه مشاريع اصلاحية عديدة ، يباشر بتطبيقها باصرار ، ويلاحقها بحزم ، ولكنها تضيع في زوايا وسراديب الاجهزة البيروقراطية، تمتصها الاجراءات الروتينية ، فلا يبقى منها الا قرارات باردة لا حياة فيها · هذا اذا ما سمح النظام بتمريرها في الاساس· والا فان حزم الاستاذ جنبلاط في الدفاع عن شروطه ، يقابله حزم اشد في الدفاع عن مقومات الوضع الراهن · حزم يحركه في الاساس عجز كامل عن التفاعل مع اية قضية شعبية ، افراط في الانانية ، ارتماء كامل في احضان الامبريالية العالمية وولاء مطلق لكل ما هو رجعي ، متخلف ، عفن ، انهزامي · فهل يستطيع الاستاذ جنبلاط مع الاستاذ خطيب ان يتغلبا على هذه الامراض كلها في وزارة من هذا النوع ؟!·